

منهج الإمام البيضاوي في اختياراته و ترجيحاته في التفسير: دراسة تحليلية وصفية

Methodology and Approach of Imam Al-Baydawi in His Preferences and Choices in Tafsir (An Analytical and Descriptive Study)

Mehmood Hasan, Musaab Iftikhar Durrani

PhD scholar, DTQS, FUD, International Islamic University, Islamabad.

Lecturer, DTQS, FUD, International Islamic University, Islamabad. Email: musaab147@hotmail.com

Received: 16 Aug | Revised: 20 Dec | Accepted: 30 Dec | Available Online: 31 Dec

ABSTRACT

This research delves into the methodology and approach of Imam Al-Baydawi in his interpretative preferences within Tafsir. Focused on the theoretical and practical aspects, it aims to unravel the nuanced choices made by this renowned scholar. Imam Al-Baydawi's succinct and precise exegesis, highly regarded in the Islamic world, warrants a detailed investigation of his interpretative leanings. Despite his work's widespread influence, a gap exists in understanding his preferences. This study fills this void by meticulously examining and tracing Imam Al-Baydawi's interpretative tendencies, shedding light on his unique perspective. By exploring his approach, this research contributes to a deeper comprehension of Tafsir methodologies, offering insights valuable to both scholars and students in the field. Through a comprehensive analysis of Imam Al-Baydawi's interpretative preferences, this research seeks to elucidate the factors influencing his choices and shed light on the underlying principles guiding his exegesis. By considering the historical context, linguistic nuances, and theological frameworks prevalent during his time, this study seeks to gain a profound understanding of Imam Al-Baydawi's preferences and choices methodology in Tafsir.

Keywords: Preferences, Choices, Methodology and Approach, Al-Baydawi, Exegesis.

Funding: This research received no specific grant from any funding agency in the public, commercial, or not-for-profit sectors.

Correspondence Author: musaab147@hotmail.com

1. الملخص:

يتناول هذا البحث منهج الإمام البيضاوي في ترجيحاته واختياراته التفسيرية. إن تفسير الإمام البيضاوي المقتضب والدقيق، والذي يحظى بتقدير كبير في الأوساط العلمية، يستدعي تحقيقاً مفصلاً في ترجيحاته واختياراته التفسيرية. على الرغم من التأثير الواسع النطاق لأعمال الإمام البيضاوي، إلا أن هناك فجوة في فهم ترجيحاته والمنهج المتبع لديه فيها. وهذه الدراسة تملأ هذا الفراغ من خلال استقراء وتتبع ترجيحات الإمام البيضاوي واختياراته التفسيرية بدقة، وتسلسل الضوء على منظوره الفريد. ومن خلال استكشاف منهجه، يساهم هذا البحث في فهم أعمق لمنهج الإمام البيضاوي في ترجيحاته واختياراته، ويقدم رؤى قيمة للمتخصصين في مجال الدراسات القرآنية عموماً وفي هذا المجال الدقيق خصوصاً ليتخذوه منهجاً لهم في تعاملهم مع أقوال المفسرين في المسائل الخلافية. ويسعى هذا البحث إلى الكشف عن العوامل المؤثرة في ترجيحات الإمام البيضاوي، وإلقاء الضوء على أدوات ووجوه الترجيح التي تضمنتها ترجيحاته بالتحليل والمناقشة، ومعرفة مدى موافقته ومخالفته لمن سبقه ولحقه من المفسرين، كما تهدف هذه الدراسة إلى إبراز مواطن القوة والضعف في ترجيحات الإمام البيضاوي من خلال مناقشة آراءه في شتى القضايا واستدلالاته لها.

2. الدراسات السابقة:

1. مقال علمي بعنوان: ترجيحات الإمام البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل (دراسة ونقداً)، بتأليف من نعيم خان وجاناباز دراني، مجلة الوفاق التابعة لجامعة أردو الفيديرالية، المجلد 4 الرقم 1 (2021). لم يتطرق الباحثان لمنهج الإمام البيضاوي وصيغته وأسلوبه في الترجيحات والاختيارات، وإنما تعرضوا لوجوه الترجيح عنده فحسب.
2. مشروع رسالة الماجستير المسجل في قسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، حول موضوع: ترجيحات الإمام البيضاوي في التفسير (جمعاً ودراسة). لم يتطرق الباحثون فيه لمنهج الإمام البيضاوي في الترجيحات بشكل مركز ودقيق، وإنما انحصرت دراستهم في المسائل التي اشتملت على الترجيحات من خلال تفسيره.
3. رسالة الدكتوراه بعنوان: الاستنباط عند القاضي البيضاوي من خلال تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل: دراسة نظرية تطبيقية، ليوسف بن زيدان السلمي، بإشراف أ.د/ عبد العزيز محمود، قدمت في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، نوقشت في عام 2021م. تعرض فيها الباحث لوجوه الاستنباط عند الإمام البيضاوي دون الترجيحات.
4. رسالة الدكتوراه بعنوان: البيضاوي ومنهجه في التفسير، ليوسف أحمد علي، بإشراف أ.د/ محمد شوقي خضر السيد، قدمت في جامعة أم القرى بمكة المكرمة. تعرض فيها الباحث لموقف المفسر من آيات الصفات، وأقوال العلماء، وبعض مباحث علوم القرآن كالنسخ والمنسوخ، وأسلوبه في الإعجاز البياني، ولم يتطرق أصلاً لمنهجه في الترجيحات.
5. كتاب بعنوان: البيضاوي مفسراً بتأليف الدكتور عبد العزيز حاجي، طبع بدار النوادر سوريا. تعرض لمنهج البيضاوي العام من استدلاله بالقرآن والروايات والإسرائيليات، واللغة والبلاغة وبين من خلالها طريقتيه ومصادره في التفسير. والدراسة التي نحن بصدها تنصب في إبراز منهج الإمام البيضاوي وصيغته ووجوهه في الترجيحات والاختيارات في التفسير بالإضافة إلى تحليل عبارات الإمام البيضاوي الواردة في الترجيح بوجه خاص، ومناقشة آرائه والأدلة التي استدلتها بما لتأييدها، وكذلك عقد مقارنة بين ترجيحاته وبين ترجيحات من تقدمه من المفسرين، وفي رأينا المتواضع إن هذه الأمور تعد إضافة علمية جديدة في عذا المضمار.

3. منهج البحث:

يعتمد منهج البحث في هذه الدراسة على الاستقراء والتتبع لمواضع الترجيح والاختيار في تفسير الإمام البيضاوي لسورة الفاتحة والبقرة فقط، وتحليل هذه المواضع بذكر توجيهاتها وأدلتها النقلية والعقلية بغية استخراج منهج المفسر ووصفه بالدقة، وطريقته وصيغ ووجوه الترجيح لديه في التفسير، كما أنه توجد ذكر من وافقه وخالفه من المفسرين في الترجيحات. وعليه فإن المنهج المتبع في هذه الدراسة هو: تحليلي ووصفي ومقارن.

جاء المقال مقسماً إلى ثلاثة مباحث، ويشتمل كل مبحث على مطلبين، وفيما يلي ذكرها:

4. المبحث الأول: معنى الاختيار والترجيح ومتى يكونان ويشتمل على مطلبين، وفيما يلي ذكرهما:

1.4. المطلب الأول: تعريف الاختيار لغة واصطلاحاً:

الاختيار في اللغة: مستعمل في معانٍ متعددة ترجع إلى الاصطفاء، والانتقاء، والانتخاب، والتفضيل، والترجيح، والإرادة، والرضا، ومنه قوله تعالى: "وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ"¹ جمع خيرة وهي الفاضلة من كل شيء².

ويأتي بمعنى التخيير أيضاً، وقد جاء في الحديث: جملاً رباعياً خياراً، وإبلاً مختاراً، وإبلاً مختاراً، أي الذكر والأنثى مختارين³.

الاختيار في الاصطلاح: فالاختيار هو: الاختيار هو تكليف بالاختيار⁴. فالاختيار مبني على المقارنة، وفي هذا معنى التفضيل، فكان من تعريفاته عند الفقهاء: تفضيل فعل على فعل⁵، أي بركيزيدان - الانتقاء - ويعرف بأنه تفضيل الشيء وتعيينه وتقديمه على غيره، وهو أخص من الإرادة. والمقصود بالاختيار في التفسير: الميل إلى رأي من الآراء المتعددة في تفسير الآية وترجيحه بدليل نقلي أو عقلي، بتصويب بقية الآراء⁶.

2.4. المطلب الثاني: تعريف الترجيح لغة واصطلاحاً

الترجيح في اللغة: كلمة رجح ترجيحاً تأتي بمعنى التغليب والتفضيل، تقول رجح أحد الرأيين على الآخر إذا غلبه وفضله، كما تدور حول جعل الشيء ثقيلاً أي أجود زائداً⁷.

وفي الاصطلاح: عرفه الإمام البيضاوي بقوله: تقوية إحدى الإماراتين على الأخرى ليعمل به⁸.

أما في اصطلاح المفسرين فالحق أنه ليس للترجيح عندهم تعريف وقع الاتفاق عليه، ولا نجد من أورد له تعريفاً من الأوائل. وكان استخدامهم للترجيح في التفاسير يدل على توسعهم في إطلاقه. فالترجيح عندهم يشمل كل تقديم لقول على آخر، سواء كان يلزم منه ردّ الأقوال الضعيفة أم لا يلزم منه ذلك.

ويوجد بين الترجيح والاختيار عموماً وخصوصاً، فكل ترجيح يكون اختياراً لا عكسه؛ فالترجيح أعم من الاختيار إذ يشمل الاختيار وغيره؛ كرفض الأقوال الضعيفة والمنحرفة، وترجيح أحد الأقوال المتعارضة. وأما الاختيار فهو على وجه واحد، وهو تقديم أول أقوال المفسرين.

1 سورة التوبة: الآية: 88.

2 ابن منظور، لسان العرب الناشر: دار صادر بيروت الطبعة: الثالثة: 1414هـ: 257/4.

3 المرجع السابق: 259/4.

4 ابن عاشور التونسي، التحرير والتنوير الدار التونسية للنشر - تونس، 1984هـ: 198/8، زين الدين محمد القاهري (ت 1031هـ) التوقيف على مهمات التعاريف، الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت - القاهرة الطبعة: الأولى، 1410هـ 1990م: ص: 42.

5 محمد رواس قلججي - حامد صادق قنبي، معجم لغة الفقهاء الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، 1408هـ - 1998م: ص: 50.

6 محمد بن علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت الطبعة: الأولى - 1996م: 119/1.

7 محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس تحقيق: جماعة من المختصين من إصدارات: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت أعوام النشر: 1385 - 1422هـ: 348/6.

8 بدر الدين أبو الفضل، بداية المحتاج في شرح المنهاج الناشر: دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1432هـ - 2011م: 787/2.

والترجيح الذي مشيت عليه في هذا المقال هو تقوية قول وارد في بيان معنى الآية للدليل، أو لتضعيف ورد ما سواه¹. وإنما يكون الترجيح والاختيار في الآيات التي وقع الخلاف في تفسيرها وما لم يقع فيه خلاف فهو خارج عن موضوع البحث ويكون لهذا الخلاف أربع صور:

- 1- جميع هذه الأقوال تحتمله الآية وليس بينها أي تعارض.
 - 2- جميع هذه الأقوال تحتمله الآية وليس بينهما تعارض، ولكن بعضها أولي من بعض.
 - 3- لا يكون التعارض فيما بين الأقوال، بل في شيء آخر مثل الإجماع.
 - 4- كل هذه الأقوال بينها تعارض ويتعذر حمل الآية عليها جميعاً.
- وهذه الصور الثلاث الأخيرة هي محل هذا البحث، إذ لا يمكن العمل فيها بجميع الأقوال مطلقاً.

5. المبحث الثاني: صيغ الترجيح وأساليبه ووجوهه عند الإمام البيضاوي:

ويشتمل على مطلبين، وفيما يلي ذكرهما:

1.5. المطلب الأول: صيغ الترجيح وأساليبه عند الإمام البيضاوي:

أولاً: التنصيص على القول الراجح: ومن أشهر وأساس طرق الترجيح هي: "التنصيص على القول الراجح، وللتنصيص على القول الراجح عند القاضي البيضاوي له عدة طرق هي:

أ. التصريح بتصحيح أحد الأقوال: مثل ما جاء في تفسير الآية: "قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تُوْمَرُونَ"². حيث قال الإمام البيضاوي: و"كاد" من أفعال التقريب، واستعمل للدلالة على قرب الخبر، وإذا أضيف إليه النفي قيل: معناه الإثبات المطلق، وقيل: هو الماضي، والصحيح أنه كسائر الأفعال، ولا يتعارض قوله: وما كادوا يفعلون قوله: فَدَبَّجُوها³؛ لاختلاف أوقاتهم، فإن المعنى أنهم هم أن يفعلوه حتى انتهت مسألتهم وانقطعت أعدارهم، ففعلوه كالمثل اضطر إلى فعل⁴.

ب. التصريح باختيار أحد الأقوال في تفسير الآية: مثاله ما جاء في تفسير قوله تعالى: مُلِكِ يَوْمِ الدِّينِ⁵: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" قراءة عاصم والكسائي ويعقوب ويقويه قوله تعالى: يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ⁶. والباقون: مَلِكِ، وهذه القراءة هي المفضلة⁷ لأنها قراءة أهل الحرمين، ولقوله تعالى: "لمن الملك اليوم" ولما فيها من التعظيم⁸.

ت. التنصيص على تحسين القول وتفضيله على غيره: وهذا الأسلوب يدل بوضوح على التفضيل والاختيار. لأنه يؤكد تفضيل قول

¹ حسين بن علي بن حسين الحرابي، قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية رسالة ماجستير - كلية أصول الدين، جامعة الإمام 1415هـ بإشراف الشيخ مناع القطان الناشر: دار القاسم - السعودية الطبعة: الثانية، 1429هـ - 2008م قواعد: ص35.

² سورة البقرة: الآية: 68.

³ سورة البقرة: الآية: 71.

⁴ ناصر الدين البيضاوي (ت 685هـ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى 1418هـ: 87/1.

⁵ سورة الفاتحة: الآية: 4.

⁶ سورة الانفطار: الآية: 19.

⁷ انظر: على سبيل المثال أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج 1 ص 106، ج 2 ص 61، 114، 126، 135، ج 4 ص 194.

⁸ ناصر الدين البيضاوي (ت 685هـ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى 1418هـ: 28/1.

على آخر. كقوله: "وهو أحسن": مثل ما فعل في تفسير قوله تعالى: *الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ*¹. حيث قال: "الفاء لأنها تتضمن معنى الشرط، كما أن معنى اللام هو الذي، وقرأت في حالة النصب على معنى الفعل مفسراً على ظاهره، وهي أفضل من حالة النصب السورة من أجل الأمر والزان بدون حرف الياء"².

ثانياً: صيغة "أشبهه": كما فعل في تفسير الآية *وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ*³. قال: المراد بالنور المادة المضئية، والنار كذلك، إلا أن نورها غائم مغمور في الدخان، وهي محرمة لما يصحبها من شدة الحرارة والاحتراق، فإذا صفت وطهرت كانت نوراً خالصاً، وإذا تراجعت عادت إلى حالتها الأولى جذعاً، فلا تزال تزداد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الخالص، وهذا أشبه بالحق وأصلح للجمع بين النصوص، والعلم عند الله العلي العظيم"⁴.

ثالثاً: صيغة: "والأول أظهر": كما فعل في تفسير قوله تعالى: *وَيُؤَيِّمُونَ الصَّلَاةَ*⁵ حيث قال: "وَيُؤَيِّمُونَ الصَّلَاةَ أي: يقيمون أركانها ويحفظونه من الانحراف في أعماله، ومن إقامة العود إذا أقاموه أو استقاموا عليه، ومن إقامة السوق إذا ربح، ومن إقامته إذا ربحته أي أقمته إذا جعلتها نافقة.

فإن حافظ عليها كان كالنافق المطلوب، وإن ضاعت كان كالعاطل المرغوب عنه، أو يشمرون عن سواعدهم لفعالها من غير تردد، وذلك من قولهم: قام الأمر فأقامه، إذا جد فيه وصبر، وضده: جلس عن الأمر وانسحب، أو يفعلونه، ويعبر عن الفعل بالإقامة لأنه يتضمن القيام، كما يعبر عنه بالدعاء والركوع والسجود والتسبيح، والأول أظهر⁶ لأنه أشهر والقريب إلى الحقيقة، وأفيد لتضمنه التنبيه"⁷.

رابعاً: صيغة "والأول أوفق": مثل ما فعل في تفسير قوله تعالى: *هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ*⁸. حيث قال: "ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ" فأراد به إرادته، من قولهم: إنه استقام إليه كالسهم المرسل، إذا أرادته مستقيماً من غير أن يلتفت إلى شيء. وأصل الاستقامة طلب المساواة، واستعمالها في الاعتدال لأنها تتضمن تسوية وضع الأجزاء، ولا يجوز استعمالها في ذلك لأنها من خصائص الأجسام. وقيل إنه استوى أي: استولى ومَلَكَ"⁹.

خامساً: حصر الأقوال القوية مع عدم التنصيص على ضعف غيرها: ومن طرق الترجيح أن يقتصر القول (أو الأقوال) المختار على بقية الأقوال المدروسة عليها، فإذا قُدِّم دليل على رد أو إضعاف بعض الأقوال، فإن الصحة تقتصر على الباقي، وكما أن الترجيح يكون ببيان صحة القول وصلاحه، فإنه يكون أيضاً بإنكار بعض الأقوال في الآية المفسرة، ولو لم يذكر المفسر القول المختار أو القول الذي يراه مرجحاً.

وهذا من الطرق المعروفة عند المفسرين، كما قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: "ولا خلاف بين العلماء والفقهاء أنه إذا كان للمسألة

1 سورة النور: الآية: 2.

2 البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 98/4.

3 سورة البقرة: الآية: 34.

4 البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 72/1.

5 سورة البقرة: الآية: 3.

6 انظر: على سبيل المثال أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج 1 ص 38، 61، 118، ج 2 ص 89، ج 5 ص 116.

7 البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 38/1.

8 سورة البقرة: الآية: 29.

9 انظر: على سبيل المثال أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج 1 ص 121، ج 3 ص 267، ج 4 ص 106.

وجهان، وثبت دليل على بطلان أحد الوجهين، فإن الحق في الوجه الآخر، ولا حاجة إلى دليل على صحته؛ لأنه ثبت دليل على بطلان ضده¹.

ومن أمثلة ذلك قوله في قراءة "أُوْمِنُ" في قوله تعالى: "فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنُ أَمْنَهُ، وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ عَائِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ"². حيث قال: "وقرئ (الذي ائتمن) بقلب الهمزة ياء، و "الذي اتمن" بإدغام الياء في التاء وهو خطأ"³.

سادساً: تفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم مع الإشارة إلى المرجوح بالصيغة التمرضية: إن الاعتماد على قول، أو نقله بصيغة الجزم مثل قال، روى، ذكر، دليل على أنه الصواب عند المفسر، وحكايته بصيغة التمرريض مثل روي، وقيل، دليل على تضعيف هذا القول وعدم اعتماده.

وقد استعمل القاضي البيضاوي هذا المنهج في تفسيره في مواضع متعددة. ومن أمثلة ذلك ما قاله في تفسير قوله تعالى: "فُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"⁴. حيث قال: "فُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا وقد تكرر ذلك للتأكيد، أو لاختلاف المعنى، فالأول يدل على أنهم نزلوا إلى دار عذاب يعادون فيها ولا يخلدون، والثاني يدل على أنهم نزلوا للتكليف، فمن هدى إلى الصواب نجأ، ومن ضل هلك. والتحذير أن خوف النزول مقروناً بأحد هذين الأمرين وحده يكفي لصاحب العزم أن يمنعه من مخالفة حكم الله تعالى، فكيف بالمقترن بهما؟ ولكنه "فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا"⁵، وأن كل واحد منهما كفى به نكالاً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ⁶. وقيل: الأول من الجنة إلى السماء الدنيا، والثاني من هذا إلى الأرض، وهو كما ترى"⁷.

وهنا صيغ يشعر منه ضعف القول أو عدم القبول كلفظ "زعم" واستعمل القاضي البيضاوي هذا اللفظ على ضعف الأقوال كثيراً؛ فمن أمثلة ذلك عند تفسير قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ"⁸ حيث ذكر ما مفاده أن الآية تدل على أن آدم -عليه السلام- أفضل من الملائكة حيث أمروا بالسجود له من وجه واحد، وكان إبليس اللعين من الملائكة، وإلا لما شمله أمرهم، ولم يصح إخراجه عنهم، وقوله تعالى لا ينافي ذلك: "إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ"⁹؛ لجواز القول بأنه كان بالفعل من الجن وبالتنويع من الملائكة. وعلل بقول ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- فيما روي عنه: "أن من للملائكة أضراب يقال لهم الجن ومنهم إبليس"¹⁰.

سابعاً: التفسير بالقول "أقوى"، ومن صيغ الترجيح عند البيضاوي قوله: "أقوى" ومن أمثلة ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى:

¹ أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (ت463هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد تحقيق: مصطفى العلوي، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب 1387هـ: 1999-200/20.

² سورة البقرة: الآية: 283.

³ انظر: علي سبيل المثال أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 1/255، 165.

⁴ سورة البقرة: الآية: 38.

⁵ سورة طه: الآية: 115.

⁶ سورة الفرقان: الآية: 62.

⁷ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 1/73.

⁸ البقرة: الآية: 34.

⁹ سورة الكهف: الآية: 50.

¹⁰ قال المناوي: ج 1 ص 157: لم أقف عليه.

¹¹ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 1/71.

"كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ مِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ"¹. حيث قال: "كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ" بحيث يتضمن الإنكار والتعجب من كفرهم في إنكار الحال التي يقع عليها في الطريق البرهاني، فإن صدوره لا ينفصل عن حال ووصف، فإذا أنكر أن لكفرهم حالاً يقع عليه، وجب ذلك إنكار وجوده، فذلك أبلغ وأقوى² في إنكار الكفر، من "أتكفرون" وهذا أوفق ما جاء بعده من الحال"³.

2.5. المطلب الثاني: وجوه الترجيح عند الإمام البيضاوي:

أولاً: الترجيح بدلالة الكتاب:

إن أحسن وأوضح طرق التفسير تفسير القرآن بالقرآن؛ لأنه ما من مجمل في موضع إلا وقد بين في موضع آخر، والمختصر في موضع مبسوط في مواضع عديدة⁴. والبيضاوي -رحمه الله- عند تفسيره لمفردة القرآنية كثيراً يستشهد بآية أو آيات القرآنية على ما ذهب إليه ورجحه، وأمثلة على ذلك في تفسيره كثيرة جداً ومن ذلك:

ما جاء عند تفسير الآية: مُلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، حيث ذكر بأن "مُلِكِ يَوْمِ الدِّينِ" هي قراءة الإمام عاصم والكسائي ويعقوب ويقويه قوله تعالى: "يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ"⁵. أما الباقر قرأوا: مَلِكِ. وهو المختار؛ لأنه قراءة أهل الحرمين، ولقوله تعالى: "لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ"⁶، كما يوجد فيه التعظيم أيضاً⁷.

ثانياً: الترجيح بدلالة السنة: إن السنة شارحة للقرآن مبينة له وهي المصدر الثاني من مصادر التفسير بعد القرآن. والقاضي البيضاوي -رحمه الله تعالى- كثيراً يذكر الأحاديث استشهدا على رأيه وترجيحه وأمثلة على ذلك كثيرة ومن أمثلة ذلك:

ما تمسك به من الأحاديث عند تفسير قوله تعالى: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"⁸ الدالة على أن البسملة آية من الفاتحة، ومنها ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أنه عليه الصلاة والسلام قال: "فاتحة الكتاب سبع آيات، أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم"⁹. وما نقل عن أم سلمة -رضي الله عنها-: "قرأ رسول الله ﷺ الفاتحة وعدّ "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين"، آية¹⁰11".

ثالثاً: الترجيح بدلالة الإجماع: والإجماع حجة عند الجمهور كحجية الكتاب والسنة، تثبت بها الأحكام قطعاً، وتقدم على غيرها من الأدلة الظنية إذا خالفها.

¹ سورة البقرة: الآية: 28.

² انظر: على سبيل المثال أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج3 ص198، 222، ج4 ص210.

³ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 65/1.

⁴ تقي الدين ابن تيمية الحارثي (ت 728هـ)، مقدمة في أصول التفسير الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان الطبعة: 1490هـ/ 1980م: ص82.

⁵ سورة الانفطار: الآية: 19.

⁶ سورة غافر: الآية: 16.

⁷ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 28/1.

⁸ سورة الفاتحة: الآية: 1.

⁹ رواه أسامة بن زيد وأبو بكر الحنفي عن نوح بن أبي بلال عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة موقوفاً وهو أشبهها بالصواب (العلل الواردة في الأحاديث النبوية لدار قطني ج8 ص149)، لفظُ حَدِيثِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَيْرٌ أَنَّهُ سَقَطَ مِنْ إِسْنَادِهِ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ وَذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ الصَّحِيحُ "السنن الصغير للبيهقي ج1 ص336".

¹⁰ أخرجه أبو داود والترمذي في سنينهما، انظر: تصحيحه وتخريجه للشيخ الألباني في «إرواء الغليل» ج2، حديث رقم (343) قال الدار قطني: إسناده صحيح ورواه كلهم ثقات، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وصححه ابن خزيمة والنووي وغيرهم.

¹¹ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 25/1.

وقد قرر الإمام البيضاوي - رحمه الله تعالى - بذكر الإجماع تحت تفسير آية القرآنية تأييداً لرأيه. ومثاله ما جاء في تفسير قوله تعالى: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" حيث ذكر أن الإجماع منعقد على أن ما جمع بين دفتي الكتاب هو كلامه تعالى، والاتفاق على انعقاده في المصاحف مع المبالغة في تخلص القرآن حتى لم تسجل فيه كلمة (آمين)¹.

وقال عند تفسير قوله تعالى: "وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرْتَبِنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"².

حيث قال: "ويقتضي عموم اللفظ أن المسلمة والكتيبة متساويان فيه كما قال الشافعي - رحمه الله -، والحرّة والأمة كما قال أبو بكر الأصب (المعتزلي)، والحامل وغيرها، لكن القياس يقتضي أن تقسم العدة على الأمة نصفاً، والإجماع يخرج الحامل منها. لقوله تعالى: "وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ"³. وعن علي وابن عباس رضي الله تعالى عنهما إنها تعتد بأطول الموعدين احتياطاً"⁴.

رابعا: الترجيح بدلالة الأثر: لا خلاف بأن الصحابة هم أولى الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقهم ببيان معاني كلام الله تعالى، لأنهم شهدوا نزول الوحي وعاصروا التنزيل، وكلامهم في التفسير أوثق بعد كلام الله ورسوله، وما يدل عليه كلامهم، خاصة إذا لم يختلفوا، أصح مما يدل عليه كلام غيرهم، وهكذا بالنسبة لمن جاء بعدهم⁵.

وقد جاء الإمام البيضاوي بعبارتهم في معرض تفسير الآيات وذلك عند تفسير قوله تعالى: "وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ"⁶.

فقال: "وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ" وهم المؤمنون من أهل الكتاب اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام - رضي الله عنه - وأمثاله معطوفون على "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْعَيْبِ"، وهم معهم في زمرة الصالحين، خاصة من يستحق اسماً أعم، لأن المراد بأولئك الذين آمنوا من غير شرك ولا كفر، وهؤلاء هم أصدادهم، فكانت الآيتان تفصيلاً للمتقين، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما"⁷.

وما ذكر عند تفسير قوله تعالى: "قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٩٤ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ"⁸. حيث قال: اللام للجنس أو المسلمين، واللام للعهد، (فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ومن تيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وأحب أن يعتق من بيت النجس، كما قال علي - رضي الله عنه: ما أبالي وقع علي الموت أو وقع علي الموت"⁹. والمنقول من عمار رضي الله تعالى عنه بمعركة صفين: "الآن ألقى الأجابة محمداً وحزبه"¹⁰. وقال حذيفة حين احتضر: "جاء حبيب علي فاقه لا أفلح من ندم"¹¹ أي: في التمني، وخاصة إذا علم أنه آمن عليه ولا

1 المصدر السابق: 25/1.

2 سورة البقرة: الآية: 234.

3 سورة الطلاق: الآية: 4.

4 البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 145/1.

5 ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير: ص52.

6 سورة البقرة: الآية: 4.

7 البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 39/1.

8 سورة البقرة: الآية: 94-95.

9 قال المناوي: أخرجه ابن عساکر في تاريخه، وذكر نوح السعادة للمحمودي ج2/ص707.

10 أخرجه البارز ج4 ص243، وقال المناوي: أخرجه الطبراني، من رواية ربيعة بن ناقد، قال: قالَ عمار يومَ صفين: اليومَ ألقى الأجابة، إلخ وذكر في سلسلة أحاديث الصحيحة، وقال إسناده صحيح على شرط مسلم.

11 أخرجه الحاكم: ج4 ص548، الرقم: 8580، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأبو نعيم في "الحلية" 282/1.

يشاركه فيه أحد غيره¹.

خامساً: الترجيح بالدلالة اللغوية: يرجح القاضي البيضاوي كثيراً باللغة والأمثلة على ذلك في تفسيره كثيرة منها: ما ذكر في تفسير قوله تعالى: "اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ"² حيث قال: "وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ" ومن الامتداد في الجيش والعمدة إذا كثرت قوته، ومنه امتداد السراج والأرض إذا أحسنتهما بالزيت والسماذ، وليس من الامتداد في "العمر" لأنه معدي باللام كأملّي له، ويدل على ذلك قراءة ابن كثير³.

ونحو قوله عند تفسير قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ"⁴.

حيث قال: " وَقُولُوا حِطَّةً " سؤالنا أو أمركم إثم، وهو فعل من كلمة (حط) مثل (جلسة)، وقد قرأ منصوباً على الأصل: ارفع عنا ذنوبنا، أو مفعول به من قولوا أي قولوا هذه الكلمة، وقيل معناها أمرنا حطة، أي: أن نحط في هذه القرية ونقيم فيها⁵.

6. المبحث الثالث: ترجيحات الإمام البيضاوي واختياراته في التفسير ويشتمل على مطلبين وفيما يلي ذكرهما:

1.6. المطلب الأول: ترجيحاته واختياراته في البسمة والفتحة:

مسألة: هل البسمة آية من الفتحة وغيرها أم ليست بآية فرجح الإمام البيضاوي أن البسمة جزء سورة الفتحة وهكذا من كل سورة⁶. وعليه فإنه وقع الخلاف هل هي آية بمفردها أم مع ما بعدها، والإجماع أن ما جمع بين دفتي الكتاب هو كلام الله تعالى، ووقع الاتفاق على إقامته في المصاحف مع المبالغة في تخليص القرآن حتى لم يسجل فيه (آمين).

الدراسة والترجيح: وافق الإمام البيضاوي على اختيار هذا القول التي نقل عن غير واحد من السلف كعمار بن ياسر، وشداد ابن أوس، وعبد الله بن الزبير، وأبو هريرة -رضي الله عنهم-، وكذا من جاء بعدهم من أهل العلم كالزهري، ومحمد بن سيرين، وعبد الله بن مبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق بن راهويه وغيرهم. وإلى هذا القول ذهب قراء مكة والكوفة⁷ كما قاله البيضاوي -رحمه الله. وخالف فيه جماعة من العلماء فقالوا: إنهما ليست من الفتحة، ولا من غيرها، وهكذا ليست من القرآن إلا من سورة النمل وبه قال مالك⁸، ومن أصحاب الأحناف⁹، وإليه مال قراء المدينة والبصرة والشام¹⁰. وهو المختار عند ابن جرير الطبري¹¹، وأبو الليث

¹ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 95/1.

² سورة البقرة: الآية: 15.

³ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 48/1.

⁴ سورة البقرة: الآية: 58.

⁵ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 82/1.

⁶ أخرجه الدارقطني في سننه رقم: 1175، وأخرج بنحوه الترمذي في سننه، كتاب القراءات، باب فاتحة الكتاب ج3 ص169، وصححه الألباني في الإرواء ج2 ص59.

⁷ أبو محمد مكي القيسي (355-437هـ) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها (وهو شرح كتاب التبصرة في القراءات) المحقق: د محيي الدين رمضان، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، 1401هـ - 1981م: 23/1، والقطع والانتفاف: ص36.

⁸ مالك بن أنس بن مالك بن عامر (ت 179هـ) المدونة الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م: 16/1.

⁹ القرطبي، التمهيد: 207/20، أبو محمد عبد الله بن قدامة (541-620هـ) المغني، مكتبة القاهرة الطبعة: الأولى، (1388هـ = 1968م): 152/2.

¹⁰ عثمان بن سعيد الداني (ت 444هـ) البيان في عدّ آي القرآن المحقق: غانم قدوري الحمد الناشر: مركز المخطوطات والتراث - الكويت الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م: ص: 139، أبو محمد مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات: 22/1.

¹¹ محمد بن جرير الطبري (224 - 310هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة: 147/1.

السمرقندي¹، وابن العربي²، وابن عطية³ والقرطبي⁴.

والصواب في هذه المسألة -والله أعلم- هو أنه لا شك أن البسملة ليست من الفاتحة، كما أن البسملة ليست آية من بقية السور القرآنية وإنما نزلت للفصل بين السور.

"مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ"

مسألة: أي القراءة أبلغ مالك أو ملك؟

رجح الإمام البيضاوي أن القراءة "مَلِك" أبلغ من قراءة "مَالِك".

حيث قال: "مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ" قراءة الإمام عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى: "يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ" وقرأ الباقون: مَلِك. وهو المختار لأنه قراءة الحرمين، ولقوله تعالى "لِمَنْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ" ولما فيه من التعظيم⁵.

الدراسة والترجيح: ومن قال بهذا القول الذي رجحه البيضاوي أبو عبيد⁶، والمبرد⁷، واختاره الطبري⁸، والزمخشري⁹، والرازي¹⁰، والقرطبي¹¹.

ومن خالف في ذلك: أبو عبيدة والبغوي¹².

والذي يترجح في هذه المسألة أن قراءة (مَلِك) وقراءة (مَالِك) قراءتان متواترتان فلا ينبغي التمييز بينهما، بل كل قراءة منهما تغيد معنى غير معنى القراءة الأخرى، فلا داعية للمفاضلة بينهما.

"صِرْطَ الدِّينِ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ"¹³

مسألة: من هم المنعم عليهم في الآية؟ رجح الإمام أن المنعم عليهم المؤمنين. حيث قال البيضاوي ما نصه: "صِرْطَ الدِّينِ أَنْعَمْتَ

¹ أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت 373هـ) بحر العلوم، الناشر: دار الكتب العلمية: 75/1.

² أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت 370هـ) أحكام القرآن المحقق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت تاريخ الطبع: 1405هـ: 6/1.

³ أبو محمد عبد الحق المعروف بابن عطية الأندلسي (ت 542هـ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمدالناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - 1422هـ: 60/1.

⁴ أبو عبد الله، محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م: 93/1.

⁵ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 28/1.

⁶ أبو حفص سراج الدين عمر الحنبلي المتوفى: 775هـ) اللباب في علوم الكتاب المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م: 75/1.

⁷ نقل ذلك عنه ابن عادل في: اللباب في علوم الكتاب: 75/1.

⁸ انظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان: 94/1.

⁹ محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعميون الأقاويل في وجوه التأويل، الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت الطبعة: الثالثة 1407هـ - 1987م: 95/1.

¹⁰ جمال الدين أبو الفرج الجوزي (ت 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ: 56/1.

¹¹ محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 218/1-216.

¹² محيي السنة، أبو محمد الحسين البغوي (ت 510هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، 1417هـ - 1997م: 100/1-99.

¹³ سورة الفاتحة: الآية: 7.

عَلَيْهِمْ" بدلا من الأول بدل الكل، وهو كتكرار الموضوع من حيث إنه المقصود من النسبة، وفائدته التأكيد والتوضيح أن طريق المسلمين هو المشهود باستقامته على أوضح وجه وأبلغه لأنه جعل شرحا وبيانا له، فكأنه واضح لا لبس فيه أن الطريق المستقيم هو طريق المؤمنين. وقيل: "الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ" الأنبياء، وقيل: النبي ﷺ وأصحابه وقيل: أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ.¹

الدراسة والترجيح: للمفسرين في تحديد المنعم عليهم عدة أقوال:

عن ابن عباس: انهم "الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ" بطاعتك وعبادتك من الملائكة والنبیین والصدیقین والشهداء والصالحين.²
وقال عبد الرحمن بن زيد³: هم النبي ﷺ ومن معه⁴. وقال أبو العالية⁵: هم آل النبي ﷺ، أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأهل البيت النبي ﷺ.⁶

ورجح القاضي البيضاوي أن المنعم عليهم المؤمنون وهو يشمل النبيون والصدیقون والشهداء والصالحون وبه قال القرطبي⁷، والطبري⁸، وابن كثير⁹، وابن عطية¹⁰ وغيرهم.

وبعد التأمل في بقية الأقوال نجدها - كما قال القرطبي - ترجع إلى هذا القول، فكل من وصف بأنه هو المنعم عليه إما أن يكون من النبيين، أو من الصدیقين، أو من الشهداء، أو من الصالحين.

وعلى هذا فترجيح البيضاوي هنا صحيح يعضده الدليل، فلا معنى لتعدد الأقوال. وأن هذا القول مؤيد بقاعدة "القول الذي تؤيده عدة آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك"¹¹.

مسألة: مَنْ هم "الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ" وَمَنْ هم "الضَّالِّينَ"، رجع الإمام البيضاوي أن المراد بالمغضوب عليهم "العصاة" والمراد من

¹ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 30/1.

² أبو محمد عبد الرحمن التميمي، الرازي ابن أبي حاتم (ت 327هـ) تفسير القرآن العظيم المحقق: أسعد محمد الطيب الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة - 1419هـ: 45/1.

³ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القرشي العدوي - بالولاء - المدني، نشأ في المدينة النبوية، في أسرة علم وعمل، فجدّه "أسلم" (ت: 80هـ) مولى عمر بن الخطاب من كبار التابعين وثقاتهم روى له الجماعة، وأبوه "زيد بن أسلم" (ت: 136هـ) من الطبقة الوسطى من التابعين، روى له الجماعة أيضاً، وهو ضعيف الرواية عند أهل الحديث، ضَعَفَهُ أحمد، ويحيى بن معين، وابن المديني، والبخاري، وأبو داود، والنسائي، وغيرهم، انظر: سير أعلام النبلاء: 98/4، وتحذّب التهذيب: 161/6.

⁴ أبو محمد الحسين البغوي، معالم التنزيل: 87/1.

⁵ هو رفيع بن مهران الرياحي بكسر الراء والياء، ثقة كثير الإرسال، مات سنة تسعين أو بعدها، وروى له الجماعة، انظر التقریب رقم 1935، وتحذّب التهذيب 284/3.

⁶ انظر: المرجع السابق.

⁷ محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 230/1.

⁸ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان: 112/1.

⁹ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ)، تفسير القرآن العظيم وضع حواشيه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م: 100/1.

¹⁰ ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز: 132/1.

¹¹ حسين الحري، قواعد الترجيح عند المفسرين: 312/1.

الضالين الجاهلون بالله حيث قال ما نصه: "قيل: أهل "الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ" اليهود لقوله تعالى فيهم: "مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ"¹. "وَالضَّالِّينَ" النصارى لقوله تعالى: "قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا"². وهو مروى بسند مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ويحتمل أن يقال: إن الذين يغضب الله عليهم العصاة والضالون والجهلة؛ لأن المنعم عليه من أوتي القدرة على الجمع بين معرفة الحق لذاته وصواب العمل به، وضد ذلك من كان به خلل في إحدى قواه العقلية العاملة، ومن كان به خلل في العمل فهو آثم يغضب الله عليه، لقوله تعالى: في القاتل عمداً "وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ"³. والمعتل في عقله فهو جاهل ضال، كما قال الله تعالى: "فَمَادَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ"⁴.

الدراسة والتزجيج: ذهب القاضي البيضاوي بتعميم الآية من يشبه أحد الفريقين بجامع الاتحاد في العلة وذهب إليه القرطبي⁵، وابن كثير⁶، وابن عاشور⁷، مع ترجيح القول الثاني. وذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بـ "عَيْرِ الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ": اليهود، وبـ "وَالضَّالِّينَ": النصارى، منهم الطبري⁸، والألوسي⁹، وابن عطية¹⁰، وابن عاشور¹¹، والشنقيطي¹².

والذي يترجح هو قول جمهور المفسرين، وهذا القول يعضده الدليل، ونقل الإجماع عليه.

2.6. المطلب الثاني: ترجيحات الإمام البيضاوي واختياراته في سورة البقرة:

"ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ"¹³

مسألة: معنى الريب في قوله تعالى " لَا رَيْبَ فِيهِ"؟

رجح الإمام البيضاوي أن معنى الريب أن القرآن لوضوح أدلته وبكمال الإعجاز بحيث لا لأحد أن يرتاب فيه.

حيث قال: يعني أنه لوضوحه وقوة برهانه فإن العاقل بعد التفحص الصحيح لا يشك في أنه وحي يرقى إلى مرتبة المعجزة، لا أن

1 سورة المائدة: الآية: 60.

2 سورة المائدة: الآية: 77.

3 سورة النساء: الآية: 93.

4 سورة يونس: الآية: 32.

5 محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 231/1.

6 أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم: 29/1.

7 محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: 1984هـ: 148/1.

8 محمد بن جرير الطبري، جامع البيان: 185/1.

9 أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي (ت 1270هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م: 96/1.

10 ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز: 126/1.

11 محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير: 196/1.

12 محمد الأمين الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان عام النشر: 1415هـ - 1995م: 106/1.

13 سورة البقرة: الآية: 2.

أحداً لا يشك في ذلك، ألا ترى إلى قوله تعالى: "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا" ¹ الآية. ولم ينزع عنهم الشك، بل أراهم الطريق الذي يريهم، وهو أن يسعوا في معارضة نجم من نجومه، ويبدلوا فيه أقصى جهدهم، حتى إذا عجزوا عن ذلك أدركوا أنه لا مجال للشك، ولا مدخل للشبهة فيه ².

الدراسة والترجيح:

وافق الإمام البيضاوي جمهور المفسرين في القول بأن ليس لأحد أن يرتاب فيه. ونقل ابن أبي حاتم في تفسيره الإجماع على هذا التأويل، وروي عنه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "الريب: يعني شك من الكفر، ثم قال أبو محمد: لم أسمع في هذا الكتاب بين أهل التأويل اختلافاً ³. ولم ينقل أحد من المفسرين خلافاً لهذا الذي ذكره ابن أبي حاتم ⁴.

فهذا هو الراجح بين أقوال المفسرين أن معنى "الريب" هو الشك، وهو المختار عند البيضاوي.

"الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ" ⁵

مسألة: معنى الرزق في قوله تعالى: "وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ"

رجح الامام البيضاوي مذهب أهل السنة وأبطل مذهب المعتزلة.

حيث قال: "وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ" الرزق في اللغة، "الحظ" فقال تعالى: "وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ" ⁶. مخصوص بالعرف بتخصيص الشيء بالحيوان للانتفاع والتمكين منه.

وأما المعتزلة فلما استحال على الله تعالى أن يحل الحرام لأنه نهى عن الانتفاع به وأمر بالامتناع عنه قالوا: الحرام ليس رزقا، ألا ترى أن الله تعالى نسب الرزق هنا إلى نفسه، فدل ذلك على أنهم ينفقون ما هو حلال مطلقاً؟ فإنفاق الحرام لا يوجب الثناء، والمشركون متهمون بتحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله: "قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا" ⁷. وقد جعل أصحابنا الإسناد على التعظيم والحث على الإنفاق، واللوم على تحريم ما لم يُحَرِّمْ، وخصوص ما حللنا لهم من الطعام يرجع إلى السياق، وتمسكوا بشمول الرزق. بقول النبي في حديث عمرو بن قره: "لقد رزقك الله طيباً فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله" ⁸. ولولا أنها لم تكن رزقاً لمن يأكلها لم يرزق طول عمره، وليس كذلك لقوله تعالى: "وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا" ⁹.

الدراسة والترجيح: هذا القول الذي نسبه البيضاوي للمعتزلة: وافقهم فيه الجصاص ¹⁰ من أهل السنة.

¹ سورة البقرة: الآية: 23.

² البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 36/1.

³ أبو محمد عبد الرحمن التميمي، تفسير ابن أبي حاتم: 31/1.

⁴ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان: 228/1، وتفسير القرآن العظيم: 39/1، الكشاف: 19/1.

⁵ سورة البقرة: الآية: 3.

⁶ سورة الواقعة: الآية: 82.

⁷ سورة يونس: الآية: 59.

⁸ موضوع: أخرجه ابن ماجه رقم: 1613. قال المناوي: رواه ابن ماجه، وفي غالب النسخ "عمرو بن قره" بالقاف. وفي إسناده "يحيى بن العلاء" قال أحمد: كذاب، يضع الحديث، رواه عن "بشر بن نمير" وهو أسوأ حالاً منه، فالحديث ضعيف، ولكن في الاستدلال بما بعده كفاية.

⁹ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 39/1.

¹⁰ أحمد بن علي الرازي الجصاص، أحكام القرآن: 47/1.

والصحيح في هذه المسألة هو ما ذكره البيضاوي، ووافق فيه مُعْتَمَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ، من أَنَّ الرِّزْقَ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَا يَصِحُّ بِهِ الْإِنْتِفَاعُ حَلَالًا كَانَ أَوْ حَرَامًا، وممن صرَّحَ بذلك من المفسرين غير البيضاوي: ابن عادل الحنبلي¹، وابن عطية²، والشوكاني³، والقرطبي⁴، والآلوسي⁵، وابن عاشور⁶، وغيرهم.

"وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ "

مسألة: من الموصوفون؟ بقوله تعالى: "وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ"

ورجح الإمام البيضاوي أن المراد بالآية المؤمنون من أهل الكتاب من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام -رضي الله عنه- وغيره، مع الذين يؤمنون بالغيب، فهم داخلون معهم في ذلك، كل الصالحين، كأنهم داخلون في العموم⁷.

الدراسة والتزجيج: اتفق البيضاوي في اختيار هذه مع ابن عباس، الطبري⁸، والرازي⁹، والنسفي¹⁰.

وخالف في ذلك قوم وقالوا أن المراد بالآية جميع المؤمنين وهذا منقول عن مجاهد، والربيع بن أنس، وقتادة، وأبي العالية¹¹، ورجحه الحافظ بن كثير¹²، والشوكاني¹³، ومال إليه الآلوسي ونسب تصحيحه إلى المحققين¹⁴.

والذي يترجح أن القول بالعموم هو أولى القولين بالصواب؛ لقوة أدلته، ولأن الأصل أن يبقى النص على عمومته حتى يرد دليل بالتخصيص، ولا دليل إلا دليل ضعيف. والله أعلم.

"فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ"¹⁵

مسألة: ما المراد بالحجارة في الآية؟ رجع الإمام أن المراد بالحجارة الأصنام التي يعبدونها الكفار ويطمعون بها الشفاعة حيث قال: "الحجارة هي جمع الحجر. ومثل الجمالة جمع الجمل، خلافاً للقياس، والمراد به الأصنام التي يصنعونها وينسبونها لأنفسهم، فيعبدونها

¹ سراج الدين عمر الدمشقي، اللباب في علوم: 112/1. هو أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني. عالم وفقه ومفسر حنبلي، وصاحب كتاب اللباب في علوم الكتاب، لم تذكر كتب التراجم أي تاريخ محدد لوفاته ابن عادل، ولكن تشير أحد الدراسات أن حياة ابن عادل الحنبلي محصورة بين عام 675هـ وعام 775هـ، انظر: الجديد في ترجمة ابن عادل الدمشقي الحلبي، مرهف عبد الجبار سقا، منشورات مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية صفحة 27-30، البداية والنهاية الجزء 14 صفحة 150

² ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز: 76/1.

³ محمد بن علي الشوكاني اليمني (ت 1250هـ) فتح القدير: الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - 1414هـ: 87/1.

⁴ محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 272/1.

⁵ محمود الألويس، روح المعاني: 90/1.

⁶ محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير: 228/1.

⁷ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 39/1.

⁸ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان: 252/1.

⁹ أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - 1420هـ: 235/1.

¹⁰ أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل: 42/1.

¹¹ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان: 253/1، ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز: 86/1.

¹² أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم: 173/1.

¹³ محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير: 48/1.

¹⁴ محمود الألويس، روح المعاني: 120/1.

¹⁵ سورة البقرة: الآية: 24.

رجاء شفاعتهم والانتفاع بها. حماية نفسك من الأذى بسبب حالتك. ويدل على ذلك قوله تعالى: "إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ"¹. عوقبوا على أصل جريمتهم، كما عوقب الكافرون على ما احتكروا، أو بعكس ما توقعوا، ليزدادوا ندمًا"².

الدراسة والترجيح:

رجح البيضاوي أن المراد بالحجارة الأصنام التي كان يعبدها الكفار ووافق الزمخشري³، فخر الدين الرازي⁴، الثعلبي⁵، النسفي⁶، أبو حيان الأندلسي⁷.

وقال عليّ، وابن مسعود، وابن عباس وأكثر المفسرين: يعني حجارة الكبريت لأنها أكثر التهايبا وبه قال البغوي⁸، والسمعي⁹. والذي يترجح هو القول الأول الذي رجحه البيضاوي من أن المراد بالحجارة الأصنام التي يعبدونها الكفار.

"وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَأَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ"¹⁰

مسألة: كيفية سجدة الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام في الآية؟

رجح الإمام البيضاوي بأن المراد من السجدة أنهم سجدوا إلى الله سبحانه وتعالى مستقبلين إلى آدم حيث قال ما نصه: "إن المسجود الحقيقي هو الله تعالى، وقد جعل آدم قبلة لسجودهم تعظيماً لمكانته، أو سبباً لضرورته، فكأن الله تعالى لما خلقه ليكون قدوة لكل المخلوقات، بل لكل الموجودات، ونسخة لما في العالم الروحي والجسدي، ووسيلة للملائكة لتحقيق ما قدر لهم من الكمالات، وربطاً لظهور ما اختلفوا فيه من مراتب ودرجات، أمرهم بالسجود خضوعاً لما رأوه فيه من قدرته العظيمة وآياته الباهرة، وشكراً لما أنعم عليهم به"¹¹.

الدراسة والترجيح: اختلف المفسرون في معني سجود الملائكة لآدم عليه السلام على ثلاثة أقوال:

1- فقال بعضهم: إنه كان سجود تعظيم وإجلال. وقد ذكره الإمام الشوكاني¹²، ورجحه ابن عاشور¹³.

1 سورة الانبياء: الآية: 98.

2 لبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 58/1.

3 محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف: 103/1.

4 محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب 353/1.

5 أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت 427هـ) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ - 2002م: 169/1.

6 أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمد بن محمود النسفي (ت 710هـ) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م: 67/1.

7 محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت 754هـ) البحر المحيط الناشر: دار الفكر - بيروت عام النشر: 1420هـ - 2000م: 175/1.

8 أبو محمد الحسين البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن: 94/1.

9 ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 59/1.

10 سورة البقرة: الآية: 34.

11 البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 71/1.

12 محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير: 66/1.

13 محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير: 422/1.

- 2- وقال قوم: إن سجود الملائكة لآدم عليه السلام كان مُجَرَّد سلام وتحيّة. وهذا المعنى قد رجّحه الجصاص¹.
- 3- وقال الآخرون: إنما جعل آدم عليه السلام قبلةً، والسجود لله عزّ وجلّ حقيقة وهذا الذي قال به البيضاوي ورجّحه القرطبي². والذي يترجّح في هذه هو أن السجدة التي كان لآدم هو في الحقيقة للتكريم والتعظيم؛ لأنه المعنى الظاهر المتبادر من دلالة اللفظ، ورجّح هذا المعنى: الرازي³، وهذا القول الراجح هو خلاف ما رجّحه البيضاوي.

"وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"⁴

مسألة: ما المراد بالفرقان في الآية؟ رجح الإمام أن المراد من الفرقان هو التوراة لأنه كتاب وحجة تبين الحق من الباطل حيث قال: "يعني أن التوراة تجمع بين كونها كتاباً منزلاً وحجة للتمييز بين الحق والباطل"⁵.

الدراسة والترجيح: ما رجّحه البيضاوي من أنّ "الْفُرْقَانَ" وصفٌ يرجع إلى التوراة، ولا يقصد به القرآن زوي عن ابن عباس، ورجّحه القرطبي⁶، والطبري⁷، وأبو جعفر النحاس⁸، والزحشري⁹، وابن جزّي¹⁰، والشنقيطي¹¹، وغيرهم.

وخالف الفراء¹²، وقطرب¹³ في ذلك، فذهبوا إلى أنّ المراد بالْفُرْقَانَ: القرآن على معنى: واتينا محمداً ﷺ الفرقان.

ويترجّح ما رجّحه البيضاوي وغيره من أن معنى "الْفُرْقَانَ": أي فرقا بين الحق والباطل؛ ولأن المطلوب في تفسير كتاب الله تعالى عدم الخروج عن ظاهره وسياق آياته إلا بدليل يقتضي الرجوع إليه¹⁴.

"وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ آَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي آَلْسِنَتِهِمْ فَمَثَلُوا بِالْقُرْدَةِ قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَمَنْ أَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي آَلْسِنَتِهِمْ فَمَثَلُوا بِالْقُرْدَةِ قَوْلًا مَّعْرُوفًا"¹⁵

مسألة: هل المسخ المذكور علي الحقيقة أم لا؟ رجح الإمام البيضاوي في هذا بأنهم تحولوا إلى قرد، ولكن بقيت فيهم آثار الإنسانية، مثل العقل والفهم. حيث قال ما نصه: "الجمع بين صورة القردة والقبيحة: وهي الصغيرة المطرودة، وقد قال مجاهد إن صورهم لم تحرف، وإنما حور قلوبهم، فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمير. في قوله تعالى: "كَمَثَلِ الْخَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا"¹⁶ وقوله: كُونُوا لَيْسَ الْأَمْرُ إِذْ لَيْسَ

1 أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن: 32/1.

2 محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 436/1-435.

3 محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب: 482/1.

4 سورة البقرة: الآية: 53.

5 البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 80/1.

6 محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 108/1-106.

7 محمد بن أحمد القرطبي، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان: 678/1.

8 محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت 1403هـ)، إعراب القرآن الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) الطبعة: الرابعة، 1415هـ: 255/1.

9 محمود بن عمر الزحشري، الكشاف: 281/1.

10 انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: 48/1.

11 محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان: 66/1.

12 أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت 207هـ) المحقق: أحمد يوسف النجاشي - محمد علي النجار الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر معاني القرآن: 38/1.

13 أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن: 134/1، النحاس، وإعراب القرآن: 255/1.

14 حسين الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين: 437/1.

15 سورة البقرة: الآية: 65.

16 سورة الجمعة: الآية: 5.

لهم عليه قدرة، والمراد به سرعة الخلق، وأنهم صاروا كذلك كما أراد الله لهم أن يكونوا¹.
الدراسة والتزجيج: ما رجّحه البيضاوي من القول بأنّ هذا المسخ كان حقيقياً هو الصواب ورجّحه القرطبي²، وقد اتفق على هذا القول جمهور المفسرين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم³.
وشدّد عن هذا القول الإمام المجاهد: كما ذكر القرطبي، واستطرد قائلاً إن هذا التحول ليس له حقيقة، أي أن قلوبهم تحولت فقط، وعادت عقولهم كما تعود عقول القردة، ولم تتحول حقيقة⁴. وهذا القول مخالف لتفسير جمهور السلف، وقد أخذ بهذا القول الشاذ بعض المتأخرين من المفسرين⁵.

والذي يترجح في هذا رأي الإمام البيضاوي والجمهور من أن هذا المسخ قد وقع حقيقة، لأنّ الأصل حمل الكلام على الحقيقة، ولا يجوز العدول به عنها إلا لصارف⁶، ولا يصح العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل⁷.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ نَمْنًا قَلِيلًا أَوْ لَنًا مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ⁸

مسألة: هل عدم تكليم الله لبعض البشر يوم القيامة على الحقيقة؟ رجّح القاضي البيضاوي أنّ المراد بنفي تكليم الله تعالى عن بعض الخلق، إنّما هو عبارة عن الغضب عليهم وحرمانهم عن الكرامة. حيث قال: "وهو تعبير عن غضبه عليهم، وإشارة إلى حرمانهم من الكرامة والقرب من الله التي يتمتعون بها"⁹.

الدراسة والتزجيج: اختلف المفسرون في معاني النصوص التي صرّحت بنفي كلام الله تعالى لبعض المخلوقين في الآخرة على أقوال: فقيل: إنّ هذا النفي على إطلاقه، فمن غضب الله عليه فإنّ من عقوبته ألا يكلمه سبحانه وتعالى في الآخرة أبداً. وذكر هذا القول: الرازي¹⁰، وابن عادل¹¹، والألوسي¹².

وقيل: إنّ الكلام المنفي هو كلام التكريم، أمّا كلام التقريع والتوبيخ والمحاسبة فليس بمنفي. ورجّح هذا القول الطبري¹³، والسمرقندي¹⁴.

¹ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 85/1.

² محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 174/1.

³ أبو محمد عبد الرحمن التميمي، تفسير ابن أبي حاتم: 209/1، وتفسير الطبري: 372/1.

⁴ انظر: المرجعين السابقين.

⁵ كمحمد رشيد رضا في تفسير المنار: 344/1، وابن عاشور في التحرير والتنوير: 522/1، والمراغي في تفسيره: 139/1.

⁶ حسين الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين: 387/1.

⁷ المرجع السابق: 137/1.

⁸ سورة البقرة: الآية: 174.

⁹ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 120/1.

¹⁰ محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب: 72/2.

¹¹ أبو حفص سراج الدين عمر، اللباب في علوم الكتاب: 68/2.

¹² محمود الألوسي، روح المعاني: 186/2.

¹³ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان: 206/2.

¹⁴ أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، بحر العلوم: 386/1.

والبغوي¹، والآلوسي²، وابن عاشور³.

وقيل: أراد به أنه يكون عليهم غضبان، وليس المراد نفي الكلام بالكيفية - كما رجَّح ذلك البيضاوي - وذكر هذا القول أيضاً: البغوي⁴، وابن عطية⁵، وأبو حيان⁶، والآلوسي⁷.

والقول الثاني هو الذي يترجح؛ لأنه قد ورد في آيات من القرآن الكريم ما يدل على أن الله يكلم الكفار يوم القيامة، فوجب المصير إلى هذا القول حتى يجمع بين الأدلة النافية لكلام الله يوم القيامة لبعض المخلوقين من الكفار ونحوهم، وبين الأدلة التي المثبتة لتكليمه إيَّاهم.

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ⁸.

مسألة: الإحكام والنسخ في الآية. اختار الإمام البيضاوي في هذه المسألة إحكام الآية وعدم نسخها، وعلل بأن هذا الحكم كان في بدء الإسلام فنسخ بآية الموارث⁹، كما أيد اختياره بقوله عليه الصلاة والسلام: "إن الله أعطى كل ذي حق حقه، ألا لا وصية لوارث"¹⁰.

ورد على القائلين بنسخها بعدم وقوع المعارضة بين آية الوصية والميراث، وأفاد بأن آية الميراث تؤكد ما في آية الوصية حيث إنها تدل على تقديم الوصية مطلقاً، والرواية آحاد، وقبولها من الأمة لا يجعله حديثاً متواتراً، وقال: "لعل من فسر الوصية بما أمر الله به من الميراث من الوالدين والأقارب كان حذراً في ذلك. بقوله: "يُوصِيكُمُ اللَّهُ"¹¹. وإما أن يوصيهم المحتضر بما أوصى الله به إليهم بالعدل، بحيث لا يتجاوز المال، ولا يتجاوز الثلث. "حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ"¹² مصدر مؤكد أي حق ذلك حقا"¹³.

الدراسة والتزجيج: رأى الإمام البيضاوي بأن هذه الآية محكمة، ووافق بذلك جماهير أهل العلم كالضحاك والشعبي والحسن¹⁴، واختيار ابن جرير الطبري¹⁵، ووافقهم ابن حزم¹⁶، والفخر الرازي¹⁷.

وذهب جماعة من أهل العلم إلى القول بنسخ الآية، ونقل هذا عن بعض السلف كابن عباس، وابن عمر -رضي الله عنهما- ومجاهد،

¹ أبو محمد الحسين البغوي، معالم التنزيل: 584/1.

² محمود الألوسي، روح المعاني: 186/2.

³ محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير: 119/3.

⁴ أبو محمد الحسين البغوي، معالم التنزيل: 584/1.

⁵ ابن عطية الأندلسي، الخمر الوجيز: 86/2.

⁶ أبو حيان الأندلسي، البحر الحيط: 92/2.

⁷ محمود الألوسي، روح المعاني: 186/2.

⁸ سورة البقرة: الآية: 180.

⁹ قال المناوي: أخرجه أبو داؤد في ناسخه، عن ابن عباس وعن ابن عمر. والآية الموارث: يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ... الخ.

¹⁰ صحيح: أخرجه الترمذي رقم: 2121، من حديث عمر بن خارجه وصححه الألباني في صحيح الجامع: 1720.

¹¹ سورة النساء: الآية: 11.

¹² سورة البقرة: الآية: 180.

¹³ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 123/1.

¹⁴ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان: 123/3، أبو محمد عبد الرحمن التميمي، ابن أبي حاتم: 299/1، والناسخ والمنسوخ للنحاس: 484/1.

¹⁵ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان: 124/3.

¹⁶ الإحكام في أصول الأحكام: 499/4.

¹⁷ محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب: 61/5.

وقتادة¹، وبه قال مالك²، والشافعي³، وابن العربي وغيرهم من أهل العلم⁴ -رحمهم الله جميعا-.

والذي يترجح لي في هذا أن دعوى النسخ في هذه الآية غير صحيحة؛ لأنه ليس هناك دليل يجب قبوله يدل على نسخها. ومن القواعد الترجيحية المعتبرة لدى المفسرين: تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إذا صحَّ التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه⁵. وقاعدة: "إذا حصل التعارض بين احتمال الكلام النسخ والتخصيص فالقول بالتخصيص أولى⁶".

7. نتائج البحث:

1. عرف الإمام البيضاوي بطول باعه، وغزارة علمه، وقوة استدلاله على مذهبه في تأليفاته الكثيرة، ويظهر ذلك جليا من خلال ترجيحاته واختياراته في تفسير الآيات القرآنية حيث لم يترك الإمام مسألة خلافية بين المفسرين إلا وأبدى ما ترجح لديه فيها بالدليل واختار ما رآه صوابا، وكان ملتزما في كل ذلك بأدب الخلاف وضوابطه.
2. استخدم الإمام البيضاوي عدة صيغ الترجيح والاختيار في تفسيره، وغالبا ما نجده ينص على القول الراجح ويدلل على صحته، وله في ذلك أساليب، منها: التصريح بتصحيح أحد الأقوال أو باختيار أحدها في تفسير الآية، والتنصيص على تحسين قول وتفضيله على غيره. وتارة لا ينص على القول الراجح، وله في ذلك أساليب، منها: الأول أظهر، والأول أوفق.
3. تعددت وتنوعت وجوه الترجيح عند الإمام البيضاوي في تفسيره، فنجد تارة يرجح القول بنص من كتاب أو سنة، وتارة يرجح بالإجماع والقياس، وبدلالة آثار الصحابة، كما يرجح بالدلالة اللغوية وبالسياق ونحوها.
4. نجد أن الإمام البيضاوي يوافق من تقدمه من المفسرين في كثير من ترجيحاته واختياراته، ولا يخرج غالبا عما اتفق عليه المفسرون مما يدل على سعة اطلاعه على آراء من تقدمه من العلماء، واستيعابه لأدلتهم ووجوه استدلالهم بها، ومعرفته التامة بمواطن الاتفاق والاختلاف. وإذا خالف الإمام البيضاوي من تقدمه فيكون ذلك ببرهان ساطع وحجة قاطعة تشهد على إدراكه الواسع لمدلولات الألفاظ ومعانيها وسياقات الآي.
5. إن المكانة العالية التي تبوأها الإمام البيضاوي ونالها بين أهل العلم في ترجيحاته التفسيرية لم تأت عن فراغ، وإنما هي بما حباه الله تعالى من إلمام في مختلف العلوم والفنون، وما أوتي من قوة في العقل والتفكير وبصيرة في الرأي والاجتهاد؛ لذا نجد أن عدد الحواشي والتعليقات على تفسيره بلغ زهاء مئة وثلاثا وثلاثين.
6. اعتمد الإمام البيضاوي بشكل كبير على تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، وسار معه فيما يجب الناس منه، وتأثر به تأثرا بالغاً، ونجد لهذا الأثر انتشارا في ترجيحاته حيث يوافق الزمخشري كثيرا، اللهم أن يكون له تعلق بالاعتزاليات فنجده ينصر فيها

¹ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان: 128/3، أبو محمد عبد الرحمن التميمي، ابن أبي حاتم: 299/1، والناسخ والمنسوخ للنحاس: 480/1.

² مالك بن أنس الموطأ: صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي [ت 1388هـ] الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان عام النشر: 1406هـ - 1985م: 765/2.

³ أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (150-204هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: الثانية 1403هـ - 1983م كتاب الأم: 130/4.

⁴ أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن: 102/1.

⁵ حسين الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين: 385/2.

⁶ المرجع السابق: 85/1.

مذهب أهل السنة والجماعة. أما في المباحث الكلامية فنجده يوافق الإمام الرازي في كثير من آرائه الكلامية وذلك لانتمائه إلى المذهب الأشعري في العقيدة.

8. التوصيات:

أوصي الباحثين بموضوعات ذات العلاقة بالترجيحات في التفسير البيضاوي، وفيما يلي ذكرها:

1. الترجيحات الكلامية والعقدية عند الإمام البيضاوي في تفسيره.

2. أصول وضوابط الترجيح والاختيار عند الإمام البيضاوي.

9. Bibliography:

1. The Qur'an.
2. Ibn Manzur. *Lisan al-Arab*. Beirut: Dar Sader, 3rd ed., 1414 AH.
3. Ibn Ashour al-Tunisi. *Al-Tahrir wa al-Tanwir*. Tunis: Tunisian Publishing House, 1984.
4. Zain al-Din Muhammad al-Qahri. *Al-Ta'qeeq ala Muhimat Taareef*. Cairo: Alam al-Kutub, 1st ed., 1410 AH / 1990 CE.
5. Muhammad Rawas Qalaji and Hamid Sadiq Qunaibi. *Mujam Lughat al-Fuqaha*. Beirut: Dar Al-Nafais, 2nd ed., 1408 AH / 1998 CE.
6. Nasser al-Din al-Baydawi. *Anwar ut-Tanzeel wa Asrar ut-Taweel*. Edited by Muhammad Abd al-Rahman al-Marashli. Beirut: Arab Heritage Revival House, 1st ed., 1418 AH.
7. Muhammad bin Ali Al-Thanawi. *Mosooa Kashaaf Istlahat wal-Uloom*. Edited by Ali Dahrouj. Beirut: Lebanon Library Publishers, 1st ed., 1996 CE.
8. Muhammad Mortada Al-Zubaidi. *Taj al-Uroos min Jawaher al-Qamoos*. Edited by a team of specialists. Kuwait: National Council for Culture, Arts, and Literature, 1385–1422 AH.
9. Badr al-Din Abu al-Fadl. *Bidayat al-Muhtaj fi Sharh al-Minhaj*. Jeddah: Dar Al-Minhaj, 1st ed., 1432 AH / 2011 CE.
10. Hussein bin Ali bin Hussein Al-Harbi. *Qawaid al-Tafseer Hida al-Mufasreen: An Applied Theoretical Study*. Master's thesis, College of Fundamentals of Religion, Imam University, 1415 AH. Published by Dar Al-Qasim, Saudi Arabia.
11. Abu Muhammad Makki Al-Qaisi. *Al-Kashf un Wujuh al-Qiraat al-Sabh wa Illauha wa Hujajuha*. Edited by Mohieddin Ramadan. Beirut: Al-Resala Foundation, 2nd ed., 1401 AH / 1981 CE.
12. Malik bin Anas. *Al-Mudawwana*. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1st ed., 1415 AH / 1994 CE.
13. Abu al-Layth Nasr bin Muhammad Al-Samarqandi. *Bahr al-Uloom*. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
14. Ahmed bin Ali Al-Razi Al-Jassas. *Ahkam al-Qur'an*. Verified by Muhammad Sadiq Al-Qamhawi. Beirut: Dar Revival of Arab Heritage, 1405 AH.
15. Ibn Attiya al-Andalusi. *Al-Muharrir al-Wajeez fi Tafseer Kitab al-Aziz*. Edited by Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st ed., 1422 AH.
16. Al-Qurtubi, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed. *Al-Jami' li Ahkam al-Qur'an*. Edited by Ahmed Al-Baradouni and Ibrahim Tfayesh. Cairo: Dar Al-Kutub Al-Misria, 2nd ed., 1384 AH.
17. Mahmoud bin Omar Al-Zamakhshari. *Al-Kashaf*. Cairo: Dar Al-Rayyan Heritage / Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 3rd ed., 1407 AH / 1987 CE.
18. Abu Hafs Siraj al-Din Omar al-Hanbali. *Al-Lubab fi Ulum al-Kitab*. Edited by Adel Ahmad Abd al-Mawjoud and Ali Muhammad Moawad. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st ed., 1419 AH / 1998 CE.
19. Jamal al-Din Abu al-Faraj al-Jawzi. *Zad al-Masir fi Ilm al-Tafsir*. Edited by Abd al-Razzaq al-Mahdi. Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1st ed., 1422 AH.
20. Muhyi al-Sunnah Abu Muhammad al-Baghawi. *Ma'alim al-Tanzeel fi Tafseer al-Qur'an*. Edited by Muhammad Abdullah al-Nimr and Othman Juma'a Damiriyah. Riyadh: Dar Taiba, 4th ed., 1417 AH / 1997 CE.
21. Ibn Abi Hatem al-Razi. *Tafseer al-Qur'an al-Azeem*. Verified by Asaad Muhammad Al-Tayeb. Riyadh: Nizar Mustafa Al-Baz Library, 3rd ed., 1419 AH.
22. Ibn Kathir. *Tafseer al-Qur'an al-Azeem*. Footnoted by Muhammad Hussein Shams al-Din. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st ed., 1419 AH / 1998 CE.
23. Abu al-Fadl Shihab al-Din Mahmoud Al-Alusi. *Rooh al-Ma'ani fi Tafseer al-Qur'an al-Azeem*. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st ed., 1415 AH / 1994 CE.
24. Fakhr al-Din al-Razi. *Mafateeh al-Ghaib (Tafseer al-Kabeer)*. Beirut: Arab Heritage Revival House, 3rd ed., 1420 AH.
25. Ahmed bin Muhammad bin Ibrahim Al-Thaalabi. *Al-Kashf wa al-Bayan an Tafseer al-Qur'an*. Edited by Imam Abu Muhammad bin Ashour. Beirut: Arab Heritage Revival House.